@ 548 @ مّـَثـَانـِيَ تـَقـْشـَعـِرّ ُ مـِنـْهـُ جـُلـُودُ الـّـَذـِينـَ يـَخـْشـَوـْنـَ رـَبـّـَهـُمـْ ثـُمّـَ تـَلـِينُ جـُلـُودـُهـُمـْ وـَقـُلـُوبـُهـُمـْ إـِلـَى ذـِكـْرـِ الـلـّـَهـِ } ، فالاقشعرار المذكور ، ولين الجلود والقلوب عند سماع هذا القرآن العظيم المعبر عنه بأحسن الحديث ، يفسر معنى الخشوع لذكر ا ، وما نزل من الحق هنا كما ذكر ، وقوله تعالى : { وـَلاَ يـَكـُونـُواْ كـَالـّـَذـِينـَ أـُوتـُواْ الـْكـِتـَابـَ مـِن قـَبـْلُ فـَطـَالـَ عـَلـَيـْهـِمـُ الاّ ٌ مـَدـُ فـَقـَسـَتـْ قـُلـُوبـُهـُمـْ } قد قدمنا في سورة البقرة في الكلام على قوله : { ثـُمّـَ قـَسـَتـْ قـُلـُوبـُكـُمـْ } بعض أسباب قسوة قلوبهم ، فذكرنا منها طول الأمد المذكور هنا في آية الحديد هذه ، وغير ذلك في بعض الآيات الأخر . .

وما تضمنته هذه الآية الكريمة من كثرة الفاسقين ، من أهل الكتاب جاء موضحاً في آيات أخر كقوله تعالى : { وـَلـَوـْ ءـَامـَنـَ أـَهـْلُ الـْكـِتـَابـِ لـَكـَانـَ خـَيـْراً لـّـَهـُمـْ مـّـِنـْهـُمـُ الـْمـُؤـْمـِنـُونـَ وـَأـَكـْثـَرـُهـُمـُ الـْفـَاسـِقـُونـَ } وقوله تعالى : { فـَأـاتـَيـْنـَا الـّـَذـِينـَ ءـَامـَنـُواْ مـِنـْهـُمـْ أـَجـْرـَهـُمـْ وـَكـَثـِيرٌ مـّـِنـْهـُمـْ فـَاسـِقـُونـَ } إلى غير ذلك من الآيات . قوله تعالى : { كـَمـَثـَلـِ غـَيـْثٍ أـَعـْجـَبـَ الـْكـُفـّـَارـَ نـَبـَاتـُهـُ ثـُمّـَ يـَهـِيجُ فـَتـَرـَاهـُ مـُصـْفـَرّـًا ثـُمّـَ يـَكـُونـُ حـُطـَاماً } . قد قدمنا الكلام عليه في سورة الزمر في الكلام على قوله تعالى : { ثـُمّـَ يـَهـِيجُ فـَتـَرـَاهـُ مـُصـْفـَرّـًا ثـُمّـَ يـَجـْعـَلـُهـُ حـُطـَاماً } ، وبينا هناك الآية الدالة على سبب اصفراره . قوله تعالى : { مـَآ أـَصـَابـَ مـِن مّـُصـِيبـَةٍ فـِى الاّ ٌ رـْضِ وـَلاَ فـِى أـَنـفـُسـِكـُمـْ إـِلاّـَ فـِى كـِتـَابٍ مّـِن قـَبـْلـِ أـَن نـّـَبـْرـَأـَهـَآ إـِنّـَ ذـَلـِكـَ عـَلـَى الـلـّـَهـِ يـَسـِيرٌ } . ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة ، أن كل ما أصاب من المصائب في الأرض كالقحط والجدب والجوائح في الزراعة والثمار وفي الأنفس ، من الأمراض والموت كله مكتوب في كتاب قبل خلق الناس ، وقبل وجود المصائب ، فقوله : { مّـِن قـَبـْلـِ أـَن نـّـَبـْرـَأـَهـَآ } ، الضمير فيه عائد على الخليقة المفهومة في ضمن قوله : { و فـِى أـَنـفـُسـِكـُمـْ } أو إلى المصيبة ، واختار بعضهم رجوعه لذلك كله . .

وقوله تعالى : { إـِنّـَ ذـَلـِكـَ عـَلـَى الـلـّـَهـِ يـَسـِيرٌ } أي سهل هين لإحاطة علمه وكمال قدرته . .

وما تضمنته هذه الآية الكريمة من أنه لا يصيب الناس شيء من المصائب إلا وهو